العلاقات والامتيازات التجارية بين المدن الإيطالية وبلاد الشام خلال الحروب الصليبية 490-691هـ/1097-1291م (دراسة استشراقية)

م.م. غـدير سـلام عـارف الشمري
ghadir.s@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.د. سـامي حمود الـحاج جاسم
dr.sami.ahmood@gmail.com

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ.

ملخص البحث

تكمن أهمية البحث في محاولة إعطاء صورة واضحة عن العلاقات والامتيازات التي حصلوا عليها خلال الحروب الصليبية، اصبح بعض الغربيين على ألفة بشرق المتوسط بسبب الحج والتجارة، فقد كانت العلاقات متبادلة مع بلاد الشرق، ومثال ذلك اتصال البنادقة بالشرق عن طريق التجارة، وهكذا ازداد نشاط أهل المدن، وأصبحت الحياة مدينة عملية تشترك فيها جميع الحواس الطبيعية والعقلية. والواقع أن المدن صارت مجمع الطاقات البشرية، إضافة إلى الامتيازات التي حصل عليها، أصبح للتجار الغربيين في جميع المرافئ الكبرى لبلاد الشام حيها التجاري الخاص مع فندق، وأعفيت سفنهم من ضريبة الأملاك، فقد قام التجار بتعديل تجارة بلادهم بواسطة القيام بتجارة نشطة مع الشرق ، فالحروب الصليبية عادت على الأوروبيين بمنافع تجارية حسنة لتعديل الحال الذي يمرون به في الغرب، واشادوا بهذا الحال المستشرقين في كتاباتهم.

الكلمات المفتاحية: الصليبيين، عكا، البندقية، بيزا، مملكة القدس.

Trade relations and privileges between Italian cities and the Levant during the Crusades 490-691 AH / 1097-1291 AD (Orientalist study)

Asst. Lect. Ghadeer Salam Arif Al-Shammari Prof. Sami Hammoud Al-Hajj Jassim
Al-Mustansiriya University/ College of Education/ Department of History.

ABSTRACT

The importance of the research lies in trying to give a clear picture of the relationships and privileges they obtained during the Crusades. Some Westerners became familiar with the Eastern Mediterranean due to Hajj and trade. Relations were mutual with the countries of the East, for example the Venetians' contact with the East through trade, and thus the activity of the people of the East increased. Cities, and life has become a practical city in which all the natural and mental senses participate. In fact, cities became a complex of human energies. In addition to the privileges they obtained, Western merchants in all the major ports of the Levant had their own commercial district with a hotel, and their ships were exempted from property tax. The merchants modified their country's trade by carrying out active trade with the East. Wars The Crusades brought good commercial benefits to the Europeans to change the situation they were experiencing in the West, and the Orientalists praised this situation in their writings.

Keywords: Crusaders, Acre, Venice, Pisa, Kingdom of Jerusalem

المقدمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الأمين وعلى أهل بيته واصحابه اجمعين، وبعد:

ان الحروب الصليبية قد اختلفت عن غيرها بطول امدها، فقد مكنت الصليبين من البقاء في بلاد الشام وإقامة العلاقات التجارية معهم ، إضافة إلى العوامل التي قامت بين الطرفين كانت سببا لإقامة هذه العلاقات، وعادت بمنافع اقتصادية وامتيازات تجارية حصل عليها الاوربيون، ومنذ الحملات الصليبية الأولى الى عشية الاكتشافات الجغرافية، شقت سفنها البحر المتوسط بصورة منتظمة لإنزال التجار والسلع في موانئ الساحل ولحمل كل ما يمكن تودعه هناك التجارة. ومن عام 490-691 هـ/ 1097 الى عام 1291م، وجدا

هذا النشاط تشجيعا في امتلاك امتيازات ومزايا ترابية وتجارية عظيمة الاتساع في المدن التي يسيطر عليها الفرنج. اذ يقال ان التجار الايطاليين اسطولهم من فتح المدن الساحلية هو الامتيازات الترابية والجمركية التي أعطت النشاط التجاري زخما لا سابق له.

لذلك اقتضت طبيعة البحث على تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمه جاء الأول بعنوان: الامتيازات التي تمتع بها التجار الغربيون في بلاد الشام، اما الثاني تناولنا به: العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية وبلاد الشام، وجاءت الخاتمة تبين اهم الاستنتاجات التي خرج بها البحث.

المبحث الاول

العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية وبلاد الشام

أن منطقة بلاد الشام كما ذكرنا سابقا، تعرضت الى حركة استعمارية من قبل الغربيين والتي سميت (بالحرب الصليبية) وذكرنا كذلك الأسباب التي دعتهم الى المجيء الى بلاد الشرق (بلاد الشام)، من خلال وجودهم في الشام، استيلاءهم على بعض المدن الشامية، أصبحت هناك علاقات تجارية بين المسلمين والصليبين، وأقيمت هذه العلاقات، وهناك عوامل أخرى حتمت على قيام هذه العلاقات بين الطرفين، منها الامتيازات التي حصل عليها الغربيون كما وضح سابقا، إضافة الى الظروف السياسية وأيضا وضحت، والعوامل الدينية، وهناك عوامل أخرى لهذه العلاقات.

ويتحدث عن هذه العلاقات ووجودها التجاري (ميشل بالار) (بالار، 2002، صفحة 35)، بقوله:" لا يمكن لأحد اليوم أن يزعم ان تجارة شرقي البحر المتوسط قد ولدت مع الحملات الصليبية، إذ ما أكثر الدلائل التي تشهد على وجود تجاري للغربيين في الشرق في القرنيين السابقين على نداء أوربان الثاني. فأقاليم إيطاليا الخاضعة لبيزنطية منذ وقت طويل قد حافظت على علاقات تجارية مع القسطنطينية، أكانت هذه الأقاليم قد ضلت تحت سيطرة الإمبراطورية أم كانت قد حصلت على << درجة من الاستقلال بحكم كونها أقاليم على حدود الإمبراطورية >> ... تزود العاصمة البيزنطية بالحبوب وبالمنتجات الزراعية، في حين أن بحارة باري الخبيرين بالبحر المتوسط الشرقي، سوف يستولون على اثار القديس نقولا في ميره ويعدونها في احتفال أنتصاري الى مدينتهم التي يعززون بذلك جاذبيتها للحجاج المغادرين الى الشرق".

ويقول (غروسيه)(رنيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، 2014، ص 9)، عن طبيعة العلاقات بين الطرفين " كان يصل هذا التسامح الى حد اقتسام بعض المباني المشيدة بين الديانتين، فترى نصفة الواحد كنيسة ونصفه الآخر مسجدا". (رنية، موجز تاريخ الحروب الصليبية، 2014، صفحة 9)

ويأتي رأي(جوناثان رايلي سميث) ، (سميث، 1291، صفحة 21)يخالف بقية الآراء التي ذكرت بقوله: "كان بعض الاوروبيين على ألفة بشرق المتوسط بسبب الحج والتجارة، ولكن لان الصليبين أرادوا الاستيلاء على الأرض المقدسة والاستيطان فيها. كانت العلاقة بين الفرنج والسكان الأصليين مختلفة تماما عن أية علاقة أقامها نظراؤهم من قبل... فقد تميزت السنوات الباكرة من الغزو بسلسلة من المذابح، وربما كان نتيجة لسياسة رأت ان تحتفظ بالمواقع ذات الأهمية الاستراتيجية أو الدينية للمسيحيين. ولكن سرعان ما ظهر واضحا ان هذه السياسة تؤتى عكس المرجو منها".

يذكر (كرامب) (جاكوب، 1965، الصفحات 61-615) ، كانت العلاقات متبادلة مع بلاد الشرق، ومثال ذلك اتصال البنادقة بالشرق عن طريق التجارة، وهكذا ازداد نشاط أهل المدن، وأصبحت الحياة مدينة عملية تشترك فيها جميع الحواس الطبيعية والعقلية. والواقع أن المدن صارت مجمع الطاقات البشرية، على حين ظل الريف مستودعا لها.

يأتي (هنري بيرين) (بيرين، 1996، صفحة 2)، بقوله: نتج عن طبيعة هذه الصلات، تطور اقتصادي وتجارة بحرية مهمة استمرت في امداد المدن العامرة بالسكان بالصناع والتجار المحترفين.

اما (رانسيمان) (ستيفن، 2000، صفحة 407) ، لم ينحاز الى الغربيين ذلك الانحياز الواضح، فقد أوضح الامر بقوله: كانت العلاقة مباشرة بين الصليبين والمسلمين يعتريها شيء من الغموض أو العوج. ذلك ان المستعمرات الصليبية كانت واقعة في منطقة تشتهر بالغنى، وبأنها يقينا تسيطر على بعض أعظم الطرق التجارية في العالم وكانت طموحات المستعمرين وحلفائهم المالية والتجارية تتعارض أحيانا مع الانتماء الديني، وكانت هناك مناسبات تطلبت فيها احتياجاتهم الإنسانية الأساسية مصادقة جيرانهم المسلمين.

يبين (توماش مستناك) (توماش، 2009، صفحة 1) ، السلام هو أساس العلاقات بقوله: من الشروط الأساسية للسلم أن يراعي أنصار الحركة العلاقة الصحيحة بين الطرفين.

يفصل لنا (براور)[ان هذه الحروب الصليبية قد صاحبها نهضة أوروبية عامة تمثلت في زيادة سكانية، وزيادة الثروة والفتن، وظهور طبقة اجتماعية من المستهلكين لمنتجات مدنهم الجديدة وأيضا للبضائع والمنتجات المستوردة من الشرق، وان التطور الداخلي الذي شهدته أوروبا آنذاك كانت بمثابة عملية دفع قوية أدت الى قيام علاقات تجارية بين الغرب الأوروبي وبين اقطار شرق البحر المتوسط، حيث ان الحروب الصليبية حتى ولو كانت مسؤولة جزئيا فقط عن احداث النهضة الاقتصادية في أوروبا، فأن ثمة قليلا من الشك حول دور هذه الحرب في خلق روح المبادرة، واتساع وتقوية اليقظة الاوروبية للأهمية الاقتصادية للأقاليم الشرقية في كل منطقة الشرق العربي ومنطقة الشرق البيزنطي ويجب الا نغفل العامل النفسي عند الحديث عن الظاهرة الاقتصادية، والحقيقة ان الحكم الصغير للأمارات الصليبية في منطقة الشرق العربي اذا ما قورن بحجم الأقطار في الشرق الإسلامي او في الشرق البيزنطي لا يمكن ان يقلل من دورها في تنشيط التجارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، والواقع ان ثمة عوامل اقتصادية أثرت في مجرى العلاقات التجارية. يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين(مملكة بيت المقدس)،2001 ، ص419 – 420]، العلاقات التجارية بين الطرفين بذكره: " أعقب قيام العلاقات التجارية مع موانئ جنوب أوروبا فتح أسواق تجارية في الأقطار الإسلامية الداخلية امام التغلغل التجاري الأوروبي، وبشكل عكسي، تدفقت السلع والبضائع الشرقية الى الأسواق والمتاجر الاوروبية عبر مدينة حلب. وحصل سماسرة ووسطاء العصور الوسطى من المسلمين والمسيحيين واليهود على أموال طائلة من عائد التجارة الدولية التي قام بها التجار الاوروبيين الذين اندفعوا صوب مراكز الإنتاج في منطقة الشرق العربي. وازداد تدفق المعادن الثمينة من الغرب الأوروبي الى منطقة الشرق العربي بما يعادل حجم الواردات الاوروبية من السلع الشرقية والتي وصلت الى حجم لم يسبق له مثيل في وقت حصلت فيه الصادرات الاوروبية على موطئ قدم في الشرق. ولم تكن المهمة الرئيسة للحروب الصليبية تقوية العلاقات التجارية بين أوروبا وبين منطقة الشرق العربي الإسلامي في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد".

أما (فرانشيسكو) (فرانشيسكو، 2015، صفحة 119) "يتحدث عن العلاقات وطبيعة الود بينهم بقوله: من الافرنج قوم عاشروا المسلمين فهم أصلح من القريبين العهد ببلادهم".

بينما (ارشيبالد.ر. لويس) (ارشيبالدر، صفحة 15)، يقول: العلاقات بين الطرفين في الأصل حرب دائمة، لكن عندما تقتضيه المصلحة المشتركة، فهي حرب محدودة، تبقى وتذر، ويصاحب الحرب الدائمة علاقات سلمية دائمة في اعمال مشتركة.

يبين (يعقوب الفيتري) (يعقوب، 1998، صفحة 105)، رأيه بقوله:" هناك بعض الفرنسيين والغربيين الآخرين... قاموا بعقد معاهدات مع المسلمين، وكانت تغمرهم السعادة من اجل العيش بسلام مع المسلمين".

ويأتي (زابوروف) (ميخائيل، 1986، صفحة 1986)(كانت التجارة تدر أرباحا كبيرة جدا وكان يتعاطاها في المقام الأول التجار من إيطاليا الشمالية .ميخائيل، الصليبيون في بتوضيح هذه العلاقات بين المدن الإيطالية وبلاد الشام بقوله: كان التجار الغربيون في عكا ويافا وصور وصيدا وبيروت يبيعون ما جلبوه ويملؤون سفنهم الشراعية المجدافية ببضائع جديدة كانوا يمضون أحيانا، سعيا وراءها، الى أعماق المناطق الإسلامية، الى الأسواق المحلية. وكانوا ينقلون الى أوروبا البضائع المشترات في مدن الشرق البحرية أو في مراكز ابعد للتجارة الإسلامية، كانوا ينقلون الاقمشة الحريرية والقطنية من صنع الحرفيين السوريين المهرة، والسلال بالفواكه، وجوز الطيب، وأكياس سكر قصب السكر، وقرب وبراميل الخمور. كذلك كان الغرب يتلقى من الشرق الحرير الخام، وبالات القطن، والمسك، والزجاج، والمصنوعات الزجاجية والاصباغ والتوابل، والصمغ، والبخور والعنبر، واللؤلؤ والحجارة الكريمة، كل هذا وغيره كان يتم تصريفه في الأسواق الاوروبية الغربية بكسب كبير.

وينقل (عزيز سوريال)[توافر ذلك كله في القسطنطينية حيث كان يهرع أثرياء العالم للشراء، ونتيجة هذه العلاقات وضعوا مجموعة من القوانين الدقيقة التي تنظم أسواق التجارة والحقوق والواجبات الخاصة بالصناع المنتجين والتجار والمقرضين .عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب،1868 ، ص150 –152]، (سوريال، 1868، الصفحات 150–152) عن مدى نسبة النجاح الذي تمتع به الاقتصاد في العصور الوسطى نتيجة تطور العلاقات التجارية والتبادل الدولي للبضائع بين الشرق والغرب، ويقول: ان طبيعة الحركة الدائمة للتجارة والصناعة المتوارثة في معظم دول شرق البحر الأبيض المتوسط هي التي ساعدت على إقامة

هذه الصلات التجارية بين الطرفين ومن امثلة التبادل التجاري في أوروبا والشرق، تدفق البضائع من كل مكان الى أسواق القسطنطينية، فقد جاء الحرير والاواني الصينية، وجاءت الجواهر والتوابل، والزجاج والصلب من سوريا، وكذلك الأرقاء من كل لون وشكل، كل ذلك تدفق الى المدينة سلعا للبيع والتجارة، والى جانب ذلك تطورت صناعات متعددة في المنطقة حتى أن الفنانين والممتازين من أصحاب الحرف في البلاد المجاورة وجدوا لهم مكانا في العاصمة، وكان المهرة من الصناع يقومون بصناعة العطور، والملابس المزركشة والمذهبة من البروكار وكذلك ملابس الكهنة وقام صناع آخرون بنحت الأحجار وتشكيلها، وبصنع المجوهرات والطلاء بالميناء في الذهب والفضة، وعمل الصلبان وتجليد الكتب وكل أنواع السلع الفاخرة.

ويكمل (براور)[لقد كانت العلاقة الخاصة بين الوظيفة الاقتصادية والوضع الاجتماعي من أبرز سمات الحياة الاقتصادية للملكة الصليبية في بيت المقدس، (براور، 2001، صفحة 240) عن مجرى العلاقات التجارية بين الغربيين والمسلمين، ويذكر: " ان ثمة عوامل اقتصادية أثرت في مجرى العلاقات التجارية العالمية، بيد أن بداية هذه العلاقات التجارية العالمية والولوج الى ميدان ونطاق مصالح الأقطار الأوروبية تدين بالكثير الى الحروب الصليبية... فأن ظاهرة مثل نمو وتطور الأساطيل التجارية الأوروبية، وظهور أنماط جديدة من السفن وتحسن حركة الملاحة البحرية العالمية لا يمكن ان تكون بمعزل عن الحروب الصليبية. اذ كان الكثير من السفن الاوروبية تمخر عباب البحر الى الشرق ولا تحمل على متنها حمولات سوى نقل الذهب والفضة المصبوبة والحجاج الذين يدفعون أجور نقلهم الى منطقة الشرق، وكانت ربحية الرحلة البحرية للسفينة تتمثل في أجرة نقل الحجاج وأجرة نقل الحمولات السابقة، ربما تطورت كل هذه الأرباح والحمولات في جميع المجالات ولكن في موعد غير محدد. وقد حدث مثل هذا التطور بدقة في القرن الثاني عشر الميلادي بسبب التأثر الروحي والمادي للحروب الصليبية".

" كانت إمدادات المواد الغذائية الأخرى كافية. فكانت التلال توفر المراعي لأعداد كبيرة من الأغنام والماعز والخنازير. وكانت هناك حدائق للفاكهة والخضروات تحيط بكل المدن، كما كانت أشجار الزيتون. وربما كان زيت الزيتون في واقع الامر يصدر بكميات قليلة الى الغرب، بينما كانت الفواكه الفلسطينية النادرة، كالليمون الحلو أو شراب الرمان أو الزبيب الأحمر، تشاهد أحيانا على موائد أثرياء إيطاليا ومع ذلك، كانت هناك منتجات قليلة يستطيع الشرق الفرنجي تصديرها على نطاق كبير يكفي لجلب قدر كبير من العوائد الى البلد".

ويعرض لنا (هنري بيرين)، العلاقات التي أدت نتيجتها الى تخصص هؤلاء التجار في البضائع المرتفعة القيمة مثل التوابل والاقمشة الغالية الثمن التي كان يصدرونها بجهد زائد من سوريا، ومن خلالهم أستطاعت الكنيسة الحصول على البخور اللازم لاحتفال الصلوات الدينية، وقد جلبوا الفلفل، وهو بهار كان نادر وعزيز، حتى انه كان يستعمل في بعض الأحيان بديلا عن النقود، وجلبوا كذلك الخزف المطلي بالميناء أو العاج أو المنتجات الشرقية.

يذكر (كلود كاهن) (كاهن، 1995، صفحة 14) ، " استمرار بعض أنواع الاقمشة التجارية لدى الأمالفيين ... يظهر منها أن الأمالفيين كانوا دائما يجلبون الاخشاب لبناء المنشأت البحرية".

يرجع (ول ديورانت) (ديورانت، بيروت، صفحة 182) ، العلاقات التجارية على وجودها قبيل الحروب الصليبية، وكانت هناك علاقات تجارية قامت بين طرفي البحر الأبيض المتوسط وتبادل تجاري.

وكانت أسواق بلاد الشام تغص بالمتاجر والتجار والبائعين والمشترين، وكانت القوافل تبعث بالتجار يجوبون البحار وتقول (عفاف صبره) (عفاف، 1985، صفحة 10) ، أن العلاقة مع بلاد الشام بالذات تمثل أهمية كبرى عند الغربيين، كانت تمدهم بالغلال والحبوب وخاصة القمح، ونتج عن هذه العلاقات اذ أخذ الصليبيون عن أهل الشرق نظما زراعية كثيرة متقدمة فنقلوا الى أوطانهم نباتات وحاصلات وأشجار جديدة لم يعرفوها من قبل كالسمسم والذرة والأرز والثوم والليمون، وفي مجال الصناعة نقلوا صناعة الزجاج عن أهل صور حتى أن الإنتاج الصناعي الأوروبي ظهر بعد ذلك وعليه المؤثرات والتعبيرات الإسلامية، وقد تعلم الغرب من الشرق كثيرا من صناعة المنسوجات مثل صناعة الحرير والكتان، وأخذوا عن بلاد الشام صناعة السكر من القصب، وصناعة الجلود وصناعة البسط والاثاث والصناعات المعدنية الراقية، وصناعة الورق وتجليد الكتب.

كانت المنسوجات الاوروبية التي ترد الى دمشق وحمص وحماة وحلب ينسج ويفصل ويخاط ويصبغ ويحول الى سلع تجارية من ألبسة وغيرها وأنسجة منوعة وتصدر الى الجنوب (علي، 1963، صفحة 260).

وهناك عوامل أخرى حتمت على القيام العلاقات التجارية بين الطرفين منها المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات في بلاد الشام، هذه المواد لم يستطع المسلمون الاستغناء عنها، مما أوجد الدوافع لقيام مثل هذا التبادل التجاري بين الطرفين، على سبيل المثال في شمال بلاد الشام كانت انطاكية، بوجه خاص قد اشتهرت بما تنتجه من المواد الخام اللازمة لصناعة المنسوجات الحريرية، والبسط والزجاج والفخار والصابون وهي مواد لم تكن بلاد الشام في غنى عنها، بل وشاركت أنطاكية في هذا المضمار كل من طرابلس وصور وطرطوس في إنتاج المواد الخام اللازمة لصناعة الملابس الحريرية، التي نالت شهرة واسعة في الشرق وعند الغربيين على حد سواء(بالاضافة الى القطن والكتان، وعروق الصباغين والنيلة، وكلها من المواد الخام التي قامت عليها عديد من الصناعات الهامة، كما كانت المناطق الخاضعة لحكام بيت المقدس في فلسطين تصدر الى الكثير من المدن الإسلامية في الشام، تصدر الزيت والزبيب والنيلة، والحبوب والعسل والتمور وغيرها، وهي مواد قامت عليها كثير من الصناعات المختلفة .علي، السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين ، 1996 ، ص12).

ويؤكد على هذه العلاقات ما ذكر في المصادر العربية، بأن الصليبيين أحسوا بالانبهار ببلاد الشام والمسلمين وأدوات الحضارة لديهم وبكل منتجات الشرق الإسلامي وأصروا على الحصول على مثل هذه الأدوات المعيشية، وظهرت طبقة من التجار النشطاء الذين أدركوا أن هذه البضائع التي يستوردونها من الشرق الإسلامي يمكن إنتاجها في بلادهم وهكذا تحولوا من تجار الى صناع ومنتجين (صلاح، 1979، صفحة 38)

وأدت العلاقات بينهم الى تركز التطور التجاري الأوروبي بداية في المدن الإيطالية، حيث حظيت هذه المدن بحياة حضرية متقدمة نسبيا، وكان بها تطور تجاري صناعي نسبي، بالإضافة الى استقرار سكاني يمارس هذا النشاط التجاري الصناعي البسيط، وأدى كل ذلك الى ازدهار كبير للمدن التجارية، كما أدى الى نهضة المجتمعات في جنوب أوروبا، وكذلك الى إقامة اتحادات تجارية في شمال أوروبا أيضا، وانتعشت المدن الإيطالية البندقية، جنوة، بيزا، نابولي، أمالفي، باري، كما أزدهرت التجارة في جزيرة صقلية وفي وقت متأخر حظيت مدن غرب البحر المتوسط بشهرة تجارية(كما ومارست المدن الإيطالية البحرية التجارة بين الشرق والغرب التبادل التجاري المزدهر مع القسطنطينية حيث كانت تصل سلع وبضائع الشرق، فتقوم السفن الإيطالية بنقلها الى موانئها أو الى موانئ أوربا شمال المتوسط، من أجل تحقيق أطماع وطموحات تجارية أكثر فائدة وربحا، وأكثر استقرارا وقربا، ومن بين الدول البحرية التجارية الإيطالية الشهيرة(البندقية، جنوا، بيزا، أمالفي)كانت جنوا ذات وضع خاص، اذ لم تكن لها علاقات تجارية من أي نوع من بيزنطة، مثلما كان الحال بالنسبة للبندقية وأمالفي، اذ كان من الصعب عليها منافسة التجار البنادقة في تجارتهم مع شرق المتوسط. (الطليحاوي، 1999، صفحة 72).

وعليه أن الوضع الاقتصادي للغرب قبيل الحروب الصليبية لم يكن هو بعد عشية الحروب فقد تحولت الى دول ذات اقتصاد تجاري قوي ومتميز، وأفادت العلاقات بين الصليبيين والمسلمين الى رفع مستوى التجاري لهذه الدول مثل: البندقية وجنوة وبيزا وغيرها، والواضح ان هذه الحروب كانت قبل كل شيء طريقا واسع لالتقاء الغرب بالشرق ورفع مستواه الاقتصادي.

المبحث الثاني

الامتيازات التي تمتع بها التجار الغربيون في بلاد الشام

اقام الغربيون ومعظمهم من التجار في مركز مدن الشام وخاصة الموانئ، التمتع بالشام بأهمية تجارية كبيرة ومعظم هؤلاء التجار كانوا من الجنويون والبيزيون والبنادقة، وبقية المستوطنات الإيطالية.

وذكر (رنيه غروسيه)(منحت هذه الامتيازات لهؤلاء التجار عندما استطاعوا بسط سيطرتهم على الموانئ السورية الفلسطينية، فقد ساعد الجنويون في انتزاع عكا وجبيل من المسلمين(عام 1104 م)، وكذلك طرابلس(1109 م)، واسهم الجنويون والبيزيون في الاستيلاء على بيروت(1110 م)، اما البنادقة ففي الاستيلاء على صيدا (1110م) وصور(1124م)ان اول الامتيازات في هذا القبيل منحت التجار الاوروبيين كمكافأة لهم لحصولهم على امتيازات تجارية كبيرة وقد أضحى لكل واحدة، من هؤلاء الجمهوريات الساحلية في جميع المرافئ الكبرى لبلاد الشام حيها التجاري الخاص مع فندق (عنبر للبضائع مع دكاكين للبيع)، كما تمتعت بسلطة

قضائية قنصلية وحصانات إدارية وضرائبية، مما أدى الى جعل هذه الاحياء بلدات حقيقية ذات حكم ذاتي. وكان الحي على هذا الشكل مدارا بيد قائم بالاعمال قادم من الوطن الأم، يحمل لقب فيكونت vicomte (نائب الكونت)، أو قنصل.

اما (ول ديورانت) (ديورانت، بيروت، صفحة 297)يذكر بأنه كانت تمنح بعض الامتيازات للتجار الذين يستوردون الحبوب الى إيطاليا وقد ضمنت لهم الدولة أن تعوضهم مما عساهم أن يتعرضوا له من الخسارة وأعفيت سفنهم من ضريبة الأملاك.

وجاء (رانسيمان) (رانسيمان، 2000، الصفحات 407–408) ، برأي مغاير لأراء غروسيه وديورانت، اذ انه قال أن هؤلاء التجار كانوا أخبث جامعي الأموال في عصرهم، عندما تحققوا من إمكان استخدام المستعمرات الجديدة لصالحهم عندما نجحت الحملة الصليبية، فلما عرضت عليهم الامتيازات عند السيطرة على مستعمرات ومدن بلاد الشام، يحصلون على هذه الأراضي والعيش بها، مقابل هذا كان الحافز التجاري يتمثل في شدة الرغبة في الأرض، إضافة الى شوق الفلاحين الفرار من بيوتهم الموحشة المحرومة ومن الفيضانات والمجاعات، والمجيء الى بلاد الشام، عند مجيئهم وجدوا حضارة مدن الشرق ومستوى معيشتها الأعلى، اتخذت مظهر الثراء الوفير.

اما (براور)(كانت البضائع التجارية لهؤلاء التجار تفرغ على السلالم الخشبية او الواح الخشب المحمولة على ظهور الحمالين، الذين كانوا في الغالب من الأوربي اسيويين الذين كانوا يعرفون باسم بولان الميناء poulain of the ports – لكن توضع على الأرصفة المزدحمة في منطقة الميناء الضيقة جدا، كان التجار يؤدون عليها الرسوم المعتادة في شرق البحر المتوسط، فلم تكن الرسوم تختلف فقط حسب نوع البضاعة، وإنما كانت هناك رسوم مختلفة وفقا لأماكن جلب البضائع وجنسية سفينة التاجر، فقد كان على نفس البضائع المنقولة على السفينة نفسها ان تخضع لرسوم جمركية تتراوح ما بين 2% الى 15 %حسب جنسية السفينة وجنسية مالكها . تحدث عن الامتيازات التجارية الكبيرة التي أعطيت لهؤلاء التجار الغربيون. وجمع غفير من سكان المدينة طريقهم الى منطقة الميناء وكانت الألوان الحية التي كان قباطنة السفن في العصور الوسطى يفضلون طلاء سفنهم بها. كان يوم وصول السفينة او الاسطول البحري يوم عيد بالنسبة لأصحاب الحانات والفنادق والتجار وكل من عداهم في المدينة. أعطيت لهؤلاء التجار الامتيازات التجارية في نفس الوقت، منها الصفقات التجارية وتتداول الأيدي صكوك التبادل، وصكوك القروض، جميع لوازم التجارة، وتسري الحركة في الشرايين التجارية في المدينة. وغالبا ما كان في وسع المرء ان يرى عددا قد يصل الى مائة سفينة في موانئ هور وعكا وفي ميناء يافا. وكانت السفن الأكبر حجما تستطيع ان تحمل الفا من التجار والحجاج، فضلا عن حوالي خمسمائة طن من البضائع.

يوضح (كلود كاهن) (كاهن، 1995، صفحة 141)، صيغة أخرى للامتيازات التي حصل عليها التجار الاوروبيون، وهي الانتفاع من جباية المكوس على القوافل العابرة كما كانت تفعل الدول والقبائل العربية في المنطقة منذ مدة طولية.

وكما ذكر ان أي تاجر او بضاعة تقع بين أيديهم وهي لا شك غنيمة جيدة.

كما يذكر (ميشيل بالار)(قد جرت صلات الايطاليين الأولى بالأرض المقدسة في أجواء من العنف، وحالة الحرب التي تميز العقديين الاولين للتوسع الغربي في بلاد الشام لا تشجع على نحو التجارة، وتجارة الموانئ ليس من شأنها الا ان تجد كما لجا يتمثل في الحدود القائمة بين سوريا الداخلية المسلمة والاقاليم الفرنجية، ومن جهة أخرى فإن التجار الايطاليين موزعون بين الرغبة في الاستحواذ على ذهب وثروات البلدان المفتوحة على حساب المسلمين، والحرص على عدم خسارة المواقع التجارية التي تم الفوز

بها ، لعب تجار الجمهوريات البحرية الإيطالية دورا مهيمنا في الحياة الاقتصادية لبلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ومنذ الحملات الصليبية الأولى الى عشية الاكتشافات الجغرافية، شقت سفنها البحر المتوسط بصورة منتظمة لإنزال التجار والسلع في موانئ الساحل ولحمل كل ما يمكن تودعه هناك التجارة. ومن عام 1098 الى عام 1291م، وجدا هذا النشاط تشجيعا في امتلاك امتيازات ومزايا ترابية وتجارية عظيمة الاتساع في المدن التي يسيطر عليها الفرنج. اذ يقال ان التجار الايطاليين قد رافقوا المحاربين، وان المقابل المباشر لمساعدة اسطولهم من فتح المدن الساحلية هو الامتيازات الترابية والجمركية التي أعطت النشاط التجاري زخما لا سابق له.

ويقول (هنري بيرين) (بيرين، 1996، صفحة 24)، كانوا التجار قاموا بتعديل تجارة بلادهم بواسطة القيام بتجارة نشطة مع الشرق للغاية، وفي هذه الحالة يسيرون في ركابهم، وكما يقال: يديرون ظهورهم للغرب ويتجهون لأنظارهم نحو الشرق وكانوا يقوموا بتمويل وامداد، وفي المقابل بلادهم تقوم مصانعها واسواقها بمدهم بما يحتاجون من منسوجات حريرية وتوابل لم يكن لهم غنى عنها.

ويصف (ج. كرامب)(تراث العصور الوسطى، ج 2 ، ص624)، امتيازات التاجر المسافر من البحر الى الخارج ابتغاء التجارة والربح، وفي هذه العملية يتعاقد الرأسمالي الذي لم يتحرك من بلدة مع شريكه المسافر على ان يحصل على قسط من الربح او على نسبة معينة من الفائدة على رأس ماله.

بينما (يعقوب الفيتري) (يعقوب، 1998، صفحة 108)يقول أولئك التجار الذين جاءوا من مدن جنوه وبيزا، والبندقية الشهيرة، ومن أجزاء أخرى من إيطاليا، واستقروا في بلاد الشام كسبوا امتيازات مقابل عملهم الكثير بترويج التجارة والسلع أكثر من المحاربة لأجل المسيح.

اما (زابوروف)(كانت مقامات التجار الايطاليين المميزة، القائمة عادة اشبه بنصف دائرة في جوار الميناء، تشغل أحيانا زهاء ثلث ارض المدينة، وقد عدت نقطة ارتكاز للعلاقات التجارية بين الغرب والشرق ، يفصل هذه الامتيازات تفصيلا جوهريا، بقوله: عندما قدم هؤلاء التجار وظلوا يقدمون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، للفرسان الصليبين خدمات لا يستهان بها مزودينهم بالسلاح والمؤن وآليات الحصار، وناقلين المدد بالرجال. وجميع هذه الخدمات تقاضوا عنها اجورا ممتازة. ونال التجار الغربيون في مدن بلاد الشام حقوقا وامتيازات واسعة جدا، وهذه الحقوق والامتيازات كانت من أنواع ثلاثة. كان البعض منها طابع أقليمي: فأن التجار الايطاليين وغيرهم من التجار الاوروبيين كانوا ينالون في المدن الساحلية احياء فيها بيوت سكنية ومستودعات، وفيها حتما مسبح وحمام وفرن وكنيسة، وسوق بالطبع، وكانت الفئة الثانية من الامتيازات من الميدان الحقوقي الصرف، وكانت جوهرية جدا بالنسبة للذين يعقدون الصفقات التجارية بدأب وانتظام وكانت الامتيازات من هذه الفئة الثانية، عبارة عن استثناءات متنوعة من النظام القانوني المحلي، فان التاجر او الحرفي من جنوه، مثلاً اذا اقام في الشرق في حي مخصص للقادمين من هذه المدينة، جنوه، لم يكن من الممكن محاكمته الا بموجب قوانين جمهوريته والامن قبل قنصله. اما الثالثة: كان التجار يتمتعون في الموانئ التي يختارونها بحقوق الحصانة، سواء كانوا من جنوه او بيزا أو البندقية، وبقدر أقل من مرسيليا او برشلونة.

ويأتي (براور) (براور، 2001، صفحة 166) ، برأي يختلف عن بقية المستشرقين، من ان بعض التجار حصلوا على الامتيازات عن طريق الشهادات الزائفة والرشاوي، وهذا ما اوضحه بقوله: " توجد محاولات التهريب والشهادات الزائفة بقيمة البضاعة، فضلا عن الشهادات المزيفة الخاصة بالهوية والجنسية التي يتبعها التاجر... وغالبا ما كانت رشوة موظفي الميناء تدفع من اجل الحصول على إعفاء من الضرائب... واذا ما انتهت المساومة على الرسوم الجمركية، يشق التاجر ببضاعته طريقه الى الفنادق، التي كانت تقابل الخانات، لدى الصليبين والوكالات الشرقية في المدينة. وكانت هذه الفنادق تبنى بالقرب من الميناء على قدر الإمكان".

ويقارن (البرت حوراني)(تاريخ الشعوب العربية، 1997 ، ص449)، امتيازات التاجر الشرقي بامتيازات التاجر الغربي، فذكر: أن التجار المحليون وملاكو الأراضي قادرين مع مجيء الاستقلال الحصول على جزء كبير من امتيازات النمو الاقتصادي، واصبح بإمكان التجار أن يستفيدوا من صلتهم بالحكومات المستقلة ليحصلوا على حصة أكبر من تجارة الاستيراد والتصدير، كما ان تجار لبنانيين وفلسطينيين أسسوا مصارف في بيروت كانت توظف الممتلكات والفوائد الخاصة من الصناعة النفطية.

حصل التجار على امتيازات تختلف عن الامتيازات السابقة التي ذكرت.

فذكر (ميشل بالار) (بالار، 2002، صفحة 291)، في أواخر عام 1110م، تتعاون مائة سفينة تحت قيادة الدوج فاليير، مع أسطول سيجورد، ملك النرويج، في الاستيلاء على صيدا. وعندئذ يحصل البنادقة من الملك بودوان الأول، على شارع وسوق في عكا، وبعد اثنى عشرة سنة، عندما يظهر رسوخ الفتح الفرنجي فيتحرك اسطولا من 120 سفينة تشارك في حصار صور، وهذا الانخراط البحري والعسكري الضخم يعود على البندقية بأول امتياز ذي حصانة حقيقية في المشرق، فحصل تجار البندقية على امتيازات اهم بكثير من الامتيازات التي حصلوا عليها تجار الجمهوريتان البحريتان الايطاليتان الاخريان.

اما تجار جنوة، فيبدوا انها المستفيد الأكبر من مشاركة ضخمة ومستمرة من الفتح الافرنجي وحصلوا على امتيازات مهمة في بلاد الشام، على ان هذه الامتيازات ليست على مستوى العون المقدم، فمع أن جنوة وبيزا كانتا الأسبق في الحصول على المكافأة الا ان هذه المكافاة اقل بكثير من المكافاة التي حصلوا عليها تجار البندقية، فقد حصلوا على امتيازات اعظم واكثر تنوعا، ومنها امتيازات الحصانة.

ويضيف(رانسيمان)(تاريخ الحملات الصليبية، ج 3 ، ص414)، على امتيازات التجار التي منحت لهم، امتيازات أخرى، يقول: عندما شهدت ذروة ازدهار التجارة في الشرق الافرنجي هي فترة السنوات العشر السابقة مباشرة على استعادة صلاح الدين القدس والعقود الأولى من القرن الثالث عشر، قد أكتشف الايطاليون مزايا التجارة من خلال الموانئ المسيحية، وترتب على قوافلهم استحسان لسلالة جمع الرسوم الكمركية.

ويكمل (زابوروف)(الصليبيون في الشرق، ص149 – 150)، فكانت " التجارة تدر أرباحا كبيرة جدا وكان يتعاطاها في المقام الأول التجار من إيطاليا الشمالية. وعلاوة على الامتيازات الإقليمية والحقوقية، كانوا يملكون شتى الامتيازات ذات الطابع التجاري والمالي والضرائبي. وقد بقيت الى أيامنا كثرة من المواثيق والشهادات، والوثائق) التي منح بموجبها الملوك والامراء والاسياد الكبار والمتوسطون. الحاكمون في هذه او تلك من مدن القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، التجار هذه الامتيازات، رغبة في تطوير نشاطهم العملي في ممتلكاتهم، وقد كانت للحكام الاقطاعيين في تعزيز النشاط التجاري مصلحة حيوية، اذ ان العمليات التجارية كانت تعود بدخل ما على خزائنهم. مثلا، بقيت مواثيق تخفض رسوم التصدير والاستيراد في المراسي وفي الأسواق داخل المدن في صالح تجار بيزا في يافا، في صالح تجار البندقية وامالفي وبيزا في انطاكية، وعادة لم تكن الامتيازات التجارية الممنوحة للتجار تعني الاعفاء التام من دفع اية ضرائب على العموم، رغم ان حالات من هذا النوع قد حدثت. لكن الامتيازات التجارية كانت تنحصر في الاعفاء الجزئي من الرسوم التجارية".

وعند قول (براور)(عالم الصليبين، ص172)، ويذكر بأنه من الامتيازات التي ضمنت للتجار هي أماكن السكن والعلاقات الخارجية والمحلية الضرورية للتجار، وقد ضمنت الفنادق التي انتشرت في القسطنطينية عبر أرمينيا المسيحية، والمستوطنات الصليبية.

ويؤيده (بالار)(الحملات الصليبية، ص296)، في الرأي بذكره انه في عام 1186م الى عام 1195م، تتوالى التصاريح، المؤاتية للجنويين والبنادقة بأكثر مما للبيازنة، وهم يعدون بامتيازات ضخمة في المدن التي يجب استردادها: عسقلان والقدس ويافا وبالأخص عكا، وتمتعوا بامتيازات الإعفاءات وبحقوق الحصانة والحصول على اقطاعات بفضل معاملات أو تركات مجزية. ومن مجمل الامر ليس هناك امتياز عام بالنسبة لمجمل مملكة القدس، بل امتيازات تخص مدينة واحدة، وعلى سبيل المثال، يحصل الجنويون على خطوات في طرابلس في عام 1203م وفي بيروت في عام 1221و 1223و 1233 وفي حيفا في عام 1234 وفي صور في عام 1264 وبالنسبة لسوريا الشمالية في انطاكية في عامي 1199و 1216، فلا ريب ان البنود التي جاءت تفصيلية تجاوبا مع مشيئة المستفيدين: حرية التجار والسفن والسلع، الاعفاء من الضرائب التي تشكل عبئا على النقل البحري، الوصف الدقيق للتنازلات الترابية، الالتزامات السياسية للطراف المتعاقدة، كل ذلك يجري تحديده بدقة وبوضوح ويتم تسجيله في المواثيق.

يوضح (زابوروف)(الصليبيون في الشرق، ص150)، حالة من المنافسة بين التجار بسبب الامتيازات،" بان التجار من إيطاليا ومن فرنسا الجنوبية كانوا ينافسون بعضهم بعضا مباشرة. واحيانا كانوا يشنون بعضهم على بعض حروبا ضارية ويجتذبون اليها الاسياد الاقطاعيين وفي زمن حرب من هذه الحروب، شنها تجار جنوه في أواسط القرن الثالث عشر، تدمر نصف مدينة عكا، وهلك فيها زهاء 30 الف نسمة".

يقول (كلود كاهن)(الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص142)، لقد طلب تجار مدينة جنوه وبيزا والبندقية جملة من التنازلات والامتيازات داخل بلاد الشام، وحصلوا عليها في ظل الأوضاع التي مرت بنا، لكن لم يترتب عنها بالضرورة منفعة تامة على الفور بل ولا يبدو أنهم حصلوا دائما وبشكل فعلي على الأراضي والاحياء التي تم تسليمها لهم.

يكمل (بالار) (بالار، 2002، صفحة 298)المزايا التي تمتع بها التجار، حصلوا على الموانئ التي تتميز بقدر من الأهمية: عكا وصور وبيروت في مملكة القدس، وطرابلس واللاذقية على مسافة أبعد شمالا، وهما مدينتان تنضم اليهما انطاكية، عاصمة الامارة والتي تتصل بميناء سان سيمون (القديس سمعان) عبر نهر العاصي، والامتياز الاخر حرية كاملة في التجارة.

وعليه ان حركة التجارة كانت لافته للنظر رغم المصاعب التي واجهتها، والامتيازات التي تمتع بها التجار الغربيون واضحة، قد حصلوا على مرافئ ومدن وحصانة وتقليل نسبة الرسوم وفنادق إضافة الى بقية الامتيازات الأخرى، كل هذا جعلهم يرمون الى البقاء أكثر في بلاد الشام لما تمتلكه الشام من ثروة اقتصادية ضخمة وموقع جغرافي ممتاز كما ذكرنا سابقا.

الخاتمة:

1- اقام الغربيون ومعظمهم من التجار في مركز مدن الشام وخاصة الموانئ.

2- أعطيت للتجار الاوروبيين الامتيازات التجارية ، منها الصفقات التجارية وتداول صكوك التبادل، وصكوك القروض، وجميع لوازم التجارة.

3- من الأسباب التي حتمت على القيام العلاقات التجارية بين الطرفين منها المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات في بلاد الشام، هذه المواد لم يستطع المسلمون الاستغناء عنها، مما أوجد الدوافع لقيام مثل هذا التبادل التجاري بين الطرفين.

4- ان طبيعة الحركة الدائمة للتجارة والصناعة المتوارثة في معظم دول شرق البحر الأبيض المتوسط هي التي ساعدت على إقامة هذه الصلات التجارية بين الطرفين .

المراجع

إجاكوب، ج. كرامب، تراث العصور الوسطى، ترجمة: محمد بدران و محمد مصطفى، مؤسسة سجل العرب للنشر، (د- م)، 1965م.

بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ترجمة: بشير السباعي، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، ٢٠٠٢م.

بيرين، هنري، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى والحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة وتحقيق: عطية القوص، الهيئة المصرية للنشر، مصر، 1996م.

براور، يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت المقدس، ترجمة: عبد الحافظ البنا، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2001م.

حوراني، البرت، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: اسعد صقر، ط١،دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٧م.

ديورانت، ول ويليام جيمس، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب وآخرون، دار الجيل ، بيروت، ١٩٨٨م

رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، مكتبة الشروق للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.

زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة: الياس شاهين، دار التقدم للنشر، موسكو، ١٩٨٦م.

سميث، جوناثان رايلي ، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط١،المركز القومي للترجمة،القاهرة، ١٢٩١.

غروسيه، رنيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي وشرقي حوض المتوسط، ترجمة: أحمد إيدش، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2014م.

غابريلي، فرانشيسكو، المؤرخون العرب للحروب الصليبية، ترجمة: نبيل رضا، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٥م.

الفيتري، يعقوب، تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البيشاوي، ط١، دار الشروق للنشر، رام الله، ١٩٩٨م.

كاهن، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: احمد الشيخ، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

مستناك، توماش ، السلام الصليبي، ترجمة:بشير السباعي،ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

لويس، ارشيبالد.ر.، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة، احمد محمد و محمد شفيق، مكتبة النهضة المصرية

صبره، عفاف ، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية للنشر، مصر، 1985م.

الطحاوي، حاتم عبد الرحمن، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ط1، عين للدراسات والبحوث، الهرم، 1999م.

عدس، صلاح، مختصر الحروب الصليبية، كتاب المختار للنشر، القاهرة، 1979م.

علي، السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، ط1، عين الدراسات والبحوث للنشر، الهرم، 1996م.

عطية ، عزيز سوريال ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فليب صابر سيف، ط2، القاهرة، 1868م.

المصادر المعربة:

List of sources:

- Ali, Al-Sayyid Ali, Economic Relations between Muslims and the Crusaders, 1st edition, Ain Studies and Research Publishing, Al-Haram, 1996 AD.
- Attiya, Aziz Surial, The Crusades and their impact on relations between East and West, translated by: Philip Saber Seif, 2nd edition, Cairo, 1868 AD.
- Adass, Salah, Summary of the Crusades, Al-Mukhtar Publishing House, Cairo, 1979 AD.
- Balar, Michel, The Crusades and the Latin East, translated by: Bashir Al-Sibai, 1st edition, Ain for Human and Social Studies and Research, Al-Haram, 2002 AD.
- Al-Fitri, Yacoub, The History of Jerusalem, translated by: Saeed Al-Bishawi, 1st edition, Al-Shorouk Publishing House, Ramallah, 1998 AD.
- Brower, Joshua, Crusader settlement in Palestine, the Kingdom of Jerusalem, translated by: Abdel Hafez Al-Banna, 1st edition, Ain for Human and Social Studies and Research, Al-Haram, 2001 AD.
- Durant, William James, The Story of Civilization, translated by: Zaki Najib and others, Dar Al-Jeel, Beirut, 1988 AD.
- Grosset, René, A Brief History of the Crusades in the Islamic East and the Eastern Mediterranean Basin, translated by: Ahmed Idish, 1st edition, National Book House, Abu Dhabi, 2014 AD.
- Gabrielli, Francesco, Arab Historians of the Crusades, translated by: Nabil Reda, 1st edition, Arab House of Science Publishers, Beirut, 2015 AD.
- Hourani, Albert, History of the Arab Peoples, translated by: Asaad Saqr, 1st edition, Talas House for Translation and Publishing, Damascus, 1997 AD.
- Ijacob, J. Crumb, The Heritage of the Middle Ages, translated by: Muhammad Badran and Muhammad Mustafa, Arab Registration Publishing Company, (D-M), 1965 AD.
- Kurd Ali, Muhammad bin Abdul Razzaq bin Muhammad (d. 1372 AH), Plans of the Levant, 3rd edition, Al-Nouri Publishing Library, Damascus, 1983 AD.
- Kahn, Claude, East and West in the Time of the Crusades, translated by: Ahmed Al-Sheikh, 1st edition, Sina Publishing, Cairo, 1995 AD.
- Lewis, Archibald R., Maritime and Commercial Powers in the Mediterranean Basin, translated by Ahmed Muhammad and Muhammad Shafiq, Egyptian Nahda Library.
- Mustnak, Tomasz, The Crusader Peace, translated by: Bashir Al-Sibai, 2nd edition, National Center for Translation, Cairo, 2009 AD.
- Perrin, Henry, The History of Europe in the Middle Ages and Economic and Social Life, translated and edited by: Attia Al-Qus, Egyptian Publishing Authority, Egypt, 1996 AD.
- Runciman, Stephen, History of the Crusades, translated by: Nour al-Din Khalil, Al-Shorouk Publishing Library, Cairo, 2000.
- Sabra, Afaf, Orientalists and the Problems of Civilization, Arab Nahda Publishing House, Egypt, 1985 AD.
- Smith, Jonathan Reilly, History of the Crusades, translated by: Qasim Abdo Qasim, 1st edition, National Center for Translation, Cairo, 1291.
- Al-Tahawi, Hatem Abdel Rahman, The Crusader Economy in the Levant, 1st edition, Ain for Studies and Research, Al-Haram, 1999 AD.
- Zaborov, Mikhail, The Crusaders in the East, translated by: Elias Shaheen, Al-Taqadum Publishing House, Moscow, 1986 AD.